

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

### بيتر وينر

نائب سابق لأحد مساعدي الرئيس الأمريكي جورج بوش  
وباحث أساسي في مركز (الأخلاق والسياسة العامة)



مجلة ويكلي ستاندارد

22 سبتمبر 2008



The Woodward Way of War

by Peter Wehner

The Weekly Standard Magazine

ترجمة: علي الحارس

جاء بوب وودورد بكتابه الرابع حول رئاسة الرئيس بوش في غضون ست سنوات. وتراوحت هذه الكتب من التمجيد الخفيف (كما في كتاب بوش عند الحرب)، إلى الاستهجان (كما في كتاب حالة إنكار). أما آخر هذه الكتب (الحرب من الداخل: التاريخ السري للبيت الأبيض في الفترة 2006-2008)، ومع أنه كان أقل قسوة على بوش من كتاب (حالة إنكار)، فإنه يبقى شديد الانتقاد.

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

بالتأسيس على مقابلات أجريت مع أكثر من 150 شخصا. بما فيها قرابة 3 ساعات من المقابلات مع الرئيس بوش ذاته. جاء الكتاب عارضا لتفاصيل لقاءات محورية ومذكرات سرية. وآراء صريحة أو منمقة للكاتب عن الكثير من الشخصيات الفاعلة الأساسية في حرب العراق. وتوصيفا للنقاشات والخلافات الساخنة ضمن إدارة بوش خلال الفترة التي تبنى فيها الرئيس بوش استراتيجية جديدة في العراق: خطة الاندفاع.

لا يقدم وودورد في كتابه صورة جميلة لمجريات الأمور. وكان تقييمه قاسيا للقضايا التي ناقشها. فعلى سبيل المثال: يورد في خاتمة الكتاب أن بوش كثيرا ما «فشل في قيادة» الولايات المتحدة الأمريكية. وأن «الرئيس نادرا ما كان يمثل صوت الواقع في ما يتعلق بحرب العراق». وفي المقابلات الترويجية للكتاب كان وودورد منتقدا لبوش بشكل يشابه ما ورد في كتابه. مصورا إياه بصورة الشخص الجامد البعيد عن التطورات الراهنة. وناعتا إدارته بالفشل. ورئاسته بأنها فشل أكيد.

إن من يرغب بدراسة حرب العراق سيجد هذا الكتاب يستحق القراءة حقا. ولكن لأسباب ربما لم تكن في نية وودورد. فكتابه الأخير يكشف جانبا مهما عن أشخاص لعبوا دورا أساسيا في ما شهدته السنتان الماضيتان من جدل في واشنطن.

### بوب وودورد

في تقييمه لأداء الرئيس بوش خلال تلك الفترة. يركز وودورد اهتمامه ويكاد يحصره على مجريات عملية اتخاذ بوش للقرارات. بصرف النظر عن نتائجها. ويعترف المؤلف بنفسه أن كتابه يدور حول «جبهة ثانية حقيقية للحرب في واشنطن. حيث لا يمكن الوصول إلى اتفاق بين كل من الجيش ووزارة الخارجية والاستخبارات والبيت الأبيض.»

وخلال مقابلة دامت ساعة أجراها معه لاري كينغ<sup>1</sup>. تلفظ وودورد بجملة وحيدة. وغريبة (1) لاري كينغ (Larry King): من المذيعين الأمريكيين المخضرمين. يعد ويقدم يعد ويقدم برنامجا حواريا شهيرا في محطة (CNN) الأمريكية.

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

نوعا ما، حول موضوع استراتيجية الاندفاع ونجاحها. فقال:

اتخذ (بوش) قرارا قادنا إلى حال أحسن بكثير، وإذا كنت تعتنق وجهة نظر كارل روفاً في السياسة والحياة الأمريكية، حيث كل شيء يقاس بمحصلته، فلربما نظرت إلى هذا الحال وقلت بأنه إيجابي.

إنني لست متأكداً من معرفتي للسبب الذي دفع وودورد للإشارة إلى كارل روف في كلامه، ولكنني أعتقد بأن ملايين الأمريكيين سيصدمون بهذا الكلام، وبينهم من لا يتفق مع روف في آرائه السياسية، لأنهم يرون من الصحيح والمناسب أن تقاس القرارات بمحصلاتها. فنحن معتادون على فعل ذلك عند تقييم الرؤساء، والجنرالات، والأطباء، والمدربين الرياضيين، وفي كل شأن من شؤون الحياة تقريبا. فذلك، في نظر أكثرنا، يمثل محك المعدن الحقيقي للقائد. ولكن ذلك لا ينطبق على وودورد؛ فهو قلق حول عملية اتخاذ القرار نفسها بشكل يستحوذ على تفكيره كله: من يقود العملية (بوش، أم مستشاره للأمن القومي ستيفن هادلي)؟ أي الاجتماعات حضرها أو لم يحضرها بوش؟ وهل حصلت الكمية «المناسبة» من التواصل بين القيادة المدنية والجيش؟

إن العملية نفسها ذات أهمية ولها القدرة على التأثير بالمحصلة. لكن النتائج أكثر أهمية. ولا يستطيع المرء أن يتجاهل الشعور بأن وودورد كان ليكون أكثر توافقاً مع الرئيس بوش لو جرت الأمور على أساس عملية مرتبة تهدف لتحقيق الإجماع وتشمل الحزبين مع محصلة سيئة، أي بالانسحاب المتسرع من العراق. عوضاً عن عملية متعثرة وقرار لا يحظى بالشعبية ولكنه يقود إلى محصلة جيدة: القضاء على العنف في العراق.

أما في ما يتعلق باستراتيجية الاندفاع، فإن وودورد قام بالتقليل من أهميتها، محتجاً بأن الانخفاض الهائل في معدلات العنف في العراق يعود بشكل أساسي إلى عوامل أخرى: 1) كارل روف (Karl Rove): من المحللين السياسيين البارزين في أمريكا، عمل في منصب نائب كبير موظفي البيت الأبيض في إدارة بوش (2001-2007)، حيث استلم إدارة عدد من مكاتب البيت الأبيض ومنها مكتب المبادرات الاستراتيجية.

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

انتفاضة السنة ضد القاعدة في العراق. ووقف إطلاق النار من قبل مقتدى الصدر. وحتى أنه عزا ذلك إلى الحظ وادعى حدوث تصادف ما بين البدء بعملية شديدة السرية لمهاجمة قادة الإرهابيين وبين المباشرة بتنفيذ استراتيجية الاندفاع.

إن ما غاب عن ذهن وودورد، بحسب رأبي، هو أن استراتيجية الاندفاع قامت بتعزيز كل الأشياء التي حدثت في العراق من قبل، وكل الأطراف الفاعلة على الأرض هناك: السنة في الأنبار، وتنظيم القاعدة في العراق، والصدر وأتباعه، وحكومة بغداد، وجيران العراق؛ كان عليها أن تتحمل على حسابها كلفة القوة المستمرة والتعزيزات التي تمتع بها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وأدى ذلك إلى تمكين الأمور الأخرى من أن تحصل. وكل ما سبق لن تستطيع معرفته من قراءة كتاب (الحرب من الداخل).

### الرئيس بوش

أورد وودورد في كتابه أمرا لا ينسجم مع السياق العام للكتاب، وهو التذكير بالمعارضة الصلبة التي واجهها الرئيس بوش في سعيه من أجل استراتيجية الاندفاع، بما في ذلك: وزير الدفاع والخارجية، وهيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة، وقائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال جورج كيسبي، وأمر القيادة المركزية الجنرال جون أبي زيد، ومجموعة دراسة العراق، وربما كافة أعضاء السلك السياسي الداخلي والخارجي.

كاد بوش أن يكون وحده في سعيه من أجل استراتيجية الاندفاع، وهو أمر ينبئ بما يتمتع به من رؤية استراتيجية وشجاعة سياسية، ويكشف أن الإعلامي مات لاور<sup>1</sup> عندما استضاف وودورد في محطة (NBC) قام بالاعتراض على ما ادعاه وودورد بفشل بوش في القيادة، حيث قال لاور:

بعض المستشارين يقولون لبوش: «لا تمض باستراتيجية الاندفاع»، والعسكريون

(1) مات لاور (Matt Lauer): من المذيعين الأمريكيين المشهورين. يعد ويقدم برنامجا حواريا شهيرا في محطة (NBC) الأمريكية.

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

يقولون: «فرقتان، لا خمسة». وبوش يقول: «لا، سأمضي بكل ما أستطيع مع هذه الاستراتيجية، وسأضعاف رهاني». هذه هي القيادة، أحببت ذلك أم لا، أليس كذلك؟

فما كان من وودورد إلا أن أجاب:

حسنا، بالطبع، لكن هذه عملية معقدة جدا.

ثم أمضى باقي إجابته وهو يتحدث عن... العملية.

ليس هنالك من شك في أن التغييرات التي طرأت على استراتيجيتنا حيال العراق كان يجب أن تحدث في وقت أبكر بكثير: أو على الأقل، يمكن تخطئة بوش في أنه كان شديد الاختلاف مع كبار المسؤولين في الجيش والحكومة قبل استراتيجية الاندفاع. ولهذا السبب يشعر البعض منا بالسعادة لرؤية بوش في النهاية وهو ينصت باهتمام لأصوات من خارج إدارته كالجنرال المتقاعد جاك كين<sup>1</sup>، وهو مؤيد قوي لتلك الاستراتيجية.

في أواخر عام 2006، انتهى بوش إلى اعتماد استراتيجية جديدة لمكافحة الإرهاب في العراق تختلف عن سابقتها بشكل جذري. ومع انخفاض شعبيته وبقاء قلة قليلة تدعم موقفه، اتخذ بوش ما أظهرت الوقائع أنه القرار الصحيح. وكان هذا القرار، بكافة المقاييس الموضوعية، قرارا أسقط الاتهامات، وهذا بعينه، أكثر من أي أمر آخر، يمثل أهمية المرحلة التي يغطي وودورد أحداثها في كتابه.

### قيادات المؤسسة العسكرية

لا يقدم كتاب وودورد القصة «المجهولة» لاستراتيجية الاندفاع كما يدعي ناشرو

(1) الجنرال جاك كين (Jack Keane): نائب قائد أركان الجيش الأمريكي (1999-2003)، عمل مع المحلل السياسي فريدريك كاغان على وضع الخطوط الرئيسية لخطة الاندفاع التي أدت إلى دحر الإرهاب في العراق.

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

الكتاب. ففي الواقع. تمت رواية القصة من قبل آخرين من بينهم: الصحافي مايكل غوردون في جريدة (نيويورك تايمز). والبروفيسور بيتر فيفر في مجلة (كومينتاري). وفريد بارنز في مجلة (ويكلي ستاندارد). ونظرا لضخامة كتاب وودورد وكثافة تفاصيله. يمكن له أن يوضح بصوت يصم الأسماع درجة المعارضة التي تلقاها الرئيس من هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة والجنرالين ابي زيد وكيسي.

لقد قال الجنرال كيسي للرئيس بوش في يونيو 2006: «لتحقيق الانتصار علينا أن نخفض عدد القوات». وفي حديث تلا ذلك الاقتراح في السنة نفسها. أخبر الجنرال ابي زيد الرئيس بوش بأنه ضد استراتيجية الاندفاع. محاججا بأن القوات الأمريكية ينبغي أن تخرج من العراق لتحقيق الانتصار. وتبعاً لما أورده وودورد في كتابه. فإن هيئة الأركان المشتركة «كادت أن تجمع على رفض خيار الاندفاع». وفي مجموعة من اللقاءات التي انعقدت في نوفمبر 2006 «خرج إحباطهم إلى العلن». لقد كانت معارضتهم شديدة إلى حد دفع بيتر بيس. قائد أركان الجيش. ليقترح اجتماعا يجلس فيه بوش معهم ويمكنهم من سماع رأيه المدافع عن الاندفاع بشكل شخصي. وتم ذلك الاجتماع في ديسمبر 2006. وخلال ذلك قال الجنرال بيتر شوميكر. رئيس هيئة الأركان المشتركة. للرئيس بوش: «لا أعتقد بأنك تملك الوقت الكافي لإنجاز الاندفاع وتأمين العدد الكافي من القوات لضمان استمرار العملية». وكان هذا الجنرال مع عدد من رفاقه قلقين حول شن حرب مستقبلية أكثر من تحقيق الانتصار في الحرب المحتمدة في العراق.

يمكن الافتراض بأن كافة كبار مسؤولي البنتاغون. بالإضافة إلى الجنرالات الرئيسيين الذين يعتمد عليهم بوش. كانوا يتخذون موقفا معارضا من استراتيجية الاندفاع. لقد كانوا مخطئين في كافة أوجه القضية تقريبا. وهذه حقيقة تغطي أهميتها على ما سواها. لكن وودورد لم يفعل شيئا لتوضيحها في كتابه. بل إنه. وبخلاف ذلك. عرض المرارة التي أحست بها هيئة الأركان المشتركة حين تجاهل بوش نصائحها. فالجنرال كيسي كان يرى أنه من «الأمر التي تحط من قدره» أن يلجأ للإجابة على 50 سؤالاً استقصائيا (وضروريا) طرحها

## وودورد ومفهومه الخاطيء حول الحرب

هادلي. مستشار الأمن القومي. وعندما قام بوش بتذكير كيسبي وآخرين. خلال مؤتمر فيديوي. بـ«إننا لا نلعب لتحقيق التعادل». يورد وودورد في كتابه أن كيسبي اعتبر ذلك «إهانة لكرامته» بينما كانت عبارة بوش «لا تحمل في طياتها أي استفزاز حقيقي».

كما وصلت الأمور إلى حد من السوء جعل الادميرال مايكل مولين. الذين كان أيضا من معارضي الاندفاع وخلف الجنرال بيتر بيس في رئاسة هيئة الأركان المشتركة. يحاول إعاقة سفر الجنرال كين إلى العراق. لأن كين كان ينوي مد خط مباشر للتواصل من بوش إلى الجنرال بيترايوس. حيث قال له: «لقد قلت من شأن مكتب رئيس هيئة الأركان المشتركة». وذلك في حديث موثق. لكن البيت الأبيض تدخل من أجل سفر كين إلى العراق.

ويخرج القارئ من كتاب وودورد باحترام أكبر للجنرال بيترايوس الذي عمل يدا بيد مع الجنرال ريموند اوديرنو لمقاومة الضغط الهائل الذي كان يمارسه القادة الذين هم أعلى منه في تسلسل القيادة. وقام بتنفيذ استراتيجية الاندفاع بكفاءة بارعة.

إن كتاب وودورد يوثق كل الأحداث السابقة. وكثير منها يرد بوصف مليء بالحياة. كما منح الشخصيات الرئيسية فرصة لإبداء رأيها. ومع ذلك يبدو أنه عاجز عن الاعتراف بما للرئيس بوش من فضل في ذلك. بل إنه يعاند أكثر فيشدد على أن استراتيجية الاندفاع «أعيت» بسبب الخلاف ضمن إدارة بوش. بينما من الواضح أن ذلك ليس بصحيح.

إن ما فعله بوش باقتراحه استراتيجية الاندفاع. كان عملا استثنائيا في المهمة القيادية للرئيس. ولم يكن له سابق إلا في حالات معدودة في التاريخ الأمريكي. إن ذلك لا يؤدي إلى محو الأخطاء والعثرات التي شابَت المسيرة. ولا يعني بأن عملية اتخاذ القرار كانت مثالية. كما تجاوزت الخسائر في الأرواح والتكاليف ما كان يجب أن تكون عليه. لكن وضعنا في موقف نستعيد فيه الحرب التي ظن الكثيرون بأنها خاسرة. إنما هو أمر مدهش وإنجاز مشرف. وهكذا سوف يأخذ مكانه في سجلات التاريخ. وإن خالف ذلك رأي وودورد.